■ قراءة في كنوز الأغنية العاطفية اللحجية ومضامينها الاجتماعية والثقافية والإنسانية ١-٢

الغناء اللحجي جسد بصدق الذائقة الفنية الرائعة في بوح النفس ونفحات المشاعر العاطفية الراقية ومكانتها في الذاكرة الشعبية والجمعية وأنواع التعبير العاطفي

كتب/ أحمد حسن العقربي

إذا كان الشـــاعر والغناء اللحجـــي ورائده الأديب الشـــاعر والمثقف والمؤرخ الوطني الجسور الأمير/ أحمد فضـــل القمنـــدان الذي شـــعر وغنى للحب والجمال وللطبيعة ولأفراح الشـــعب والبســـطاء وللزراعة وللتأريخ والوطن ، وآخرون من أدباء لحج وشـــعراءها الكبار أمثال الشاعر المرحوم / عبدالله هادي ســـبيت ، والشـــاعر المرحـــوم الأمير/ عبده عبدالكريم ، والمغلس ، وعبدالرحمن علوي العراشة ، ومحمود الســـلامي ، وصالح نصيب ، وأحمد عبيد الحسيني ...وغيرهم من شعراء لحج الخضيرة التي لم تســـعفني الذاكرة في هـــذه العجالة عن ذكرهم يمثلون في الحقيقة الســـجل الذي احتوى المخزون الثقافي والأدبي للشـــعب اللحجي الذي عرف كيف يقدر ثراءه المعرفي وتحفظه في الذاكرة عبر الزمن بأحرف من ذهب ويرتقي بـــه إلى الرفعة والتقدير والشـــهرة.. فإن الغناء اللحجي هـــو بوح النفس والروح ، ونفحات المشـــاعر العاطفية الراقية لا تقل في الأهمية من حيث مكانتها في الذاكرة الشـــعبية الجمعية واثرها في تنميط المواقف وأنواع الســـلوك والممارسات المرافقة للحب وأنواع التعبير العاطفي.

من هنا يعد النفـــاذ إلى مكونات النفس البشرية عبر ما قالته الأغاني اللحجية وتحدثت به من تعابير وما صورته من أحوال العاشـــقين من حب ، ووَلَه ، وشغف أو شـــوق ، وصبر ، وسهد ، وألم ، وحرمانٍ ، أمـــرًا فائـــق الأهمية في تصوير أنمـــاط التفكير وصنع التعبير والسمات الذهنية التي أنتجت وتنتج الاتجاهات الفكرية والفنية والقيمية والاجتماعية التي تعيش في فلكها أجيال متتابعة تتوارث تألقها الفني والثقافي في مختلف تجلياته ومستوياته.

وكم كنـــت معجبا أيما إعجـــاب لكلمات الأغاني اللحجيـــة الجميلـــة اللفـــظ والرشـــيقة وعميقة المضمون التي يطرب بها القلـــب وتصفو لها الأذن وتثري الذائقة الفنية بألحانها الموسيقية وتجليات إبداعاتهـــا الفنية التـــي ترغم الســـامع والمتذوق للإصغاء والتمعن في الأشعار الغنائية وأنواع الصيغ التعبيرية في الغناء باعتباره مـــرآة الروح والنفس التي تعكس المشـــاعر والأحاسيس وتحمل الرسائل العاطفيـــة والألق الروحي المتفـــرد في خصوصية المتكئ على خلفية ثقافية فنية تســـتند إلى حوامل اجتماعية يعود ميلادها إلى عصر السلطنة اللحجية ونهضتهـــا الزراعيـــة والعلمية والأدبيـــة والفنية والرياضية والثقافية والاقتصادية ميزها عن غيرها من سلطنات الجنوب العربي.

إنني في هـــذه العجالـــة والقـــراءة المتواضعة للمضمون الفني والعاطفي والاجتماعي والثقافي للأغنيـــة اللحجـــية أردت فيها اســـتعراض مضمون الغناء اللحجـــي من كلمات ومعـــان بهدف إظهار الخلفيـــة الثقافيـــة والقيَميـــة والاجتماعية التي تمكن تلك الكلمات ومـــا تعبر عنه من مواقف وآراء وأحاســـيس وما تصوره من مشاعر والكيفية التي يتم التعبير عنها.

مضامين أغاني الخمسينات والتسعينيات

بل لعـــل الأهم في هـــذا الشـــأن أردت بقدر ما أســـتطيع أن ألامس مضمون كلـــمات وأغاني التي انتشرت بقوة في ما قبل الخمســـينات حتى أواسط الســـتينات والتـــي تتصدرها المدرســـة القمندانية وغيرها من المـــدارس الفنية وروادها من شـــعراء لحج الخضراء الغناء وشـــكلت في مجموعها تراثا فنيا وغنائيـــا وإطارا فكريـــا وثقافيا في مختلف أنواع الأجنـــاس الفنية الأدبية بدءا بالتأليف وتلحين الأشعار التي بات يتجدد حضورها وتذوقها ، وأغاني راحتنا التي يطـــرب بها القلب نصفو إليها دائما من عندليب لحج وشـــحاريرها الغنائية الذين يشكلون مدارس التعبير الفني والموسيقي في لحج مثل ملك العود اللحجي الموســـيقار / فضـــل محمد اللحجي ، ومحمد ســـعد صنعاني ، وتلميذهم الذي نبغ في عزف العـــود وفي تجديد الأغاني التراثية القمندانية اللحجية بألحان راقصة وإيقاعات متجددة.. وظهر على الســـاحة الفنية اللحجيـــة الكثير من الفنانين الجميلين غنـــاءً أمثال الفنان / محمد علي الدباشي ، وأحمد يوســـف الزبيدي ، ومحمد صالح حمدون ، وعبدالكريم توفيق ، ومهدي درويش ، وحسن عطاء ، وســـعودي أحمد صالح ، وعلي ســـعيد العودي ، ومحمـــد رزق ، وعبدالله حنش... بما تمتعوا به من عذوبـــة في الصوت وأبعاد نـــادرة قلما تجدها في الفنانين الغنائيين ســـواء على المستوى الوطني أو على مستوى الجزيرة والخليج.. ولازالت تلك الأغاني يتجدد حضورها وتتكرر ملامحها عبر الزمن وحتى وقتنا الحاضر تدق جرس الذائقة الفنية تتحدى عالم النسيان.

حضور الثقافة الشعبية في الأغنية اللحجية

وإذا وقفت أمام تحليل الأغنية اللحجية سنجدها امتدادا لمضمون الحب في الثقافة الشعبية ، فهي لا تخلو من مفردات العلاقات العاطفية والغرامية في الحكايات الشـــعبية في التراث العربي مثل: الحب العـــذري ، والحب المأســـاوي ، والحب في تكوينها فيها المبـــادرة الأولى للمرأة ، وأخـــرى كان الرجل فيها المنتصر ، وبعضهـــا تتخطى الأعراف والتقاليد وتجسيد الخيال الشعبي والتطلعات الغرامية .

فها هو الفنـــان الغنائي /علي ســـعيد العودي يتخيل محبوبته ويصورها في الخيال عندما يقول في أغنيته المعروفة (يواعـــدني) التي يقول فيها : يضاحكني وأنا ضاحك خيـــال ...وجنني وأنا مابي جنان...

أو في أغنية الفنان المعروف / عبدالكريم توفيق شحرور الفن والطرب وعندليب لحج الأسمر ، الذي تجـــاوز المحظور في الحب من أجـــل تجلي الإبداع العاطفي والرومانسي ، ويتخطى الأعراف والتقاليد المحافظة ويجســـد المعنى العاطفي والإنساني في أنصع تجليات التطلعات العاطفية الإنسانية عندما يتحدث في وصف الحبيبة بقوله :"

ولما ينتثر شعره وأطرافه تبان
وذاك الثغر يتبسم كأنه أقحوان
سقاني منهم مرة وسكرني بلا خمرة

مدينة الأمل

أحمد محمد باهديلة

(1)
من ثنايا الشهب
ومن قصاصات السحب
يتسلل ضوء فيرسم لوحات هندسية
(2)
من قلب يحن إلى الماضي
ينقب عن أحبة ذوبتهم أقنعة الزيف
طمستهم جحافل عنجهية
تتشكل روح الوفاء
ويتناغم نبض الحياة الأزلية
(3)
من هديرالبحر
وصمت الشواطئ
وتثاؤبات الجبال الراسية
يتردد صوت العائد
إلى موطن ملامحه عربية
(4)
من ألم لا يهدأ
من جرح دامٍ
يسقى تربة الأرض
فترتفع رايات الحرية
(5)
تركض أنفاس مع ريح عابرة خليج عدن
من يصل الجزيرة الحالمة فجرا ؟!
من يلقي سموما على شواطئنا غدرا ؟!
من يخط عبارات الثناء
على رمال صيرة الساحرة ؟!
(6)
عدن ...
معشوقتنا السرمدية
عدن ...
سحر الشواطئ
ورقة العواطف
وبطولات أبدية
عدن نسيج البحار
وعيون القمر
عدن هي الأمل .

الف الف مبارك التخرج

أجمل باقات التهاني والمباركات نزفها
الى
الطالبة القديرة
كلثوم محمد صالح البكري
بمناسبة التخرج وحصولها على شهادة
البكلاريوس من كلية العلوم الادارية
قسم محاسبة بجامعة عدن
متمنين لك دوام التفوق والنجاح ان
شاء الله
المهنئون: الوالد والوالدة والاخوان وال قرية
الهجر لبعوس يافع جميعا
عنهم/ الاستاذ صلاح القعشمي